الفلســـــفة القرآنية

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

حين قرأت كتاب « الله » للأستاذ العقاد ، وقفت طويلا عند بحثه براهين وجود الله وبخاصة عند الأدلة القرآنية ؛ وذلك أني رأيت العقاد في أصالته وضلاعته وسعة أفقه قد أجاد أيما إجادة إذ تناول هذا الجانب القرآني ، وتمنيت يومئذ لو تناول العقاد القرآن كله بالدرس على طريقته هذه ، وها هي ذي أمنيتي صارت حقيقة بهذا الكتاب الذي أقدمه للقارىء في غبطة عظيمة .

هو « كتاب عن مباحث الفلسفة الروحية والاجتماعية التي وردت موضوعاتها في آيات الكتاب الكريم » كما يطالعك بذلك عنوانه ، وقد أراد الأستاذ المؤلف أن يبرهن فيه « على صلاح العقيدة الإسلامية أو الفلسفة القرآنية لحياة الجماعات البشرية ، وأن الجماعات التي تدين بها تستمد منها حاجتها من الدين الذي لا غنى عنه ، ثم لا تفوتها منها حاجتها إلى العلم والحضارة ، ولا استعدادها لمجاراة الزمن حيثما اتجه بها مجراه » .

وفي رأي الأستاذ العقاد « أن القرآن الكريم يشتمل على مباحث فلسفية في جملة المسائل التي عالجها الفلاسفة من قديم الزمن وأن هذه الفلسفة القرآنية تغني الجماعة الإسلامية في باب الاعتقاد ولا تصدها عن سبيل المعرفة والتقدم . وهي لذلك تحقق ضرورة الاعتقاد ، وتمنع الضرر الذي يبتلى به من تصدهم عقائدهم عن حرية الفكر وحرية الضمير ... وليس للعلماء ولا للفلاسفة أن يطلبوا من الدين غير هذا »

بهذا الرأي وبهذه الروح كتب المؤلف كتابه ، وقد أحكم تبويبه لأن موضوعه كله كان قائماً في ذهنه جملة قبل أن يسرد تفصيله ، لذلك لم يدع شيئاً « من جملة المسائل التي عالجها الفلاسفة من قديم الزمن » فبعد أن مهد للبحث بفصلين ممتعين بين في أولهما نظرة القرآن إلى العلم وأورد الآيات التي تدل على أنه « يحث على التفكير ولا يتضمن حكما من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع حيثما استطاع . كائن يكفل قطاف كتاب من كتب الأديان » وبين في الثاني « أن الحوادث كبيرها وصغيرها لا يمكن أن تحدث إلا بأمر الخالق المباشر من إرادة الله » أقول بعد ذلك تناول المجتمع بما فيه من الأسرة وشئونها والمرأة ومركزها والطبقات والحكم والأخلاق ، ثم تناول العلاقات الدولية ، ثم تجاوز الأرض وما عليها إلى البحث في الإله الخالق وتعرض لمسألة الروح والقدر والعبادات ثم اختتم هذا البحث الجليل القدر بفصل في التصوف وآخر في الحياة الآخرة .

وبعد ، فهذا كتاب يجب أن تقرأه لتعرف مبلغه من الأهمية ومكانته بين ما ألف في الفلسفة الإسلامية ، فما يغني كلام مهما طال في التعريف به ، ولا انتقد مهما استفاض عن فصل واحد منه . وقصارانا أن نتقدم بالتحية للأستاذ الجليل الذي أسدى إلى الفكر الشرقي بكتابه « الله » وإلى الدين الإسلامي بكتابه هذا « الفلسفة القرآنية » صنيعين لا يقدم مثليهما إلا الأفذاذ ؛ وللمكتبة العربية أن تعتز بأمثال هذين البحثين اللذين ينفيان عنا تهمة التقصير .

وحسب المسلم أن يخرج من هذا الكتاب الذي أحدثه عنه ، وفي نفسه أنه « في هذا العصر الذي تتصارع فيه معاني الحياة بين الإيمان والتعطيل وبين الروح والمادة ، وبين الأمل والقنوط ، تلوذ الجماعات الإسلامية بعقيدتها المثلى ولا تخطىء الملاذ ، لأنها عقيدة تعطيها كل ما يعطيه الدين من خير ، ولا تحرمها شيئاً من خيرات العلم والحضارة » وهذا ما بينه الأستاذ الجليل أحسن بيان في هذا الكتاب .

الخفيف

أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوي

شاءت صحيفة يومية أن تعرف كتاب « أنات غريب » فقالت إن مؤلفه الأستاذ حبيب الزحلاوي أودعه حنينه إلى وطنه وأشواقه إلى مغانيه ودياره ، وهذا طبعاً ما يوحيه عنوان الكتاب . وقد تساءلت بعد أن طالعت الأقاصيص التي يتألف منها ، ما معنى هذه التسمية ، لأن العادة قد جرت أن تطلق على مجموعات الأقاصيص عنوان أولها ، أو أبرزها ، أو عدد القصص التي تتألف

منها المجموعة . . ولكنى شئت أن أتلمس أسباب إطلاق عنوان « أنات غريب » على مجموعة قصص تجرى حوادث أكثرها بمصر ، والقليل منها ماينتقل بالقارىء إلى غير مصر من بلاد الله ، وخاصة سورية ولبنان ، فهل يجب أن نرى فى العنوان تلميحاً مجازياً إلى أن المؤلف غريب بروحه عن هذا المجتمع الذى يعيش فيه ، فهى أنات نفس معذبة كابدت آلاماً تتردد فيها « وجيعة معذبة » .

ولعل للقارىء أن يتبرم بهذا الإلحاح فى البحث عن تفسير لعنوان شاء مؤلف أن يتوج به كتابه ، وأن يجد فى هذا البحث إرهاقاً له وللمؤلف ...

ولكننى فى بعض الأحيان أتعلق بأمور صغيرة أسعى للكشف عما يقصد بها ، فى حين تفوتنى أمور كثيرة ، أهم منها خطراً ، فلا أحاول فهم أغراضها .

وبعد ، فإن قراء العربية يعرفون الأستاذ حبيب الزحلاوى قاصاً له طريقته فى تأليف الأقاصيص ، وأسلوبه فى سرد الحوادث ، ومذهبه فى وصف الشخصيات وتحليلها ، وأغراضه الاجتماعية التى يرمى إليها فى أكثر القصص التى يكتبها . وأذكر أنى قلت كل الخير الذى أعتقده فى أدب الأستاذ الزحلاوى القصصى عندما نشر المجموعة الأولى من أقاصيصه بعنوان « شعاب قلب » .

ويجد القراء فى هذه المجموعة القصصية الجديدة « أنات غريب »[1] .

تلك الطريقة نفسها فى سرد وشرح البواعث التى دفعت بأبطال الأقصوصة إلى إتيانها ، والتوسل بهذا الشرح لتحليل نفسية بطل القصة ، كل هذا فى حبكة قوية ، وربطة محكمة ، واسترسال قد يتمدى فى بعض الأحيان حد الأقصوصة .

ولا تخلو أقاصيص الأستاذ الزحلاوى من وصف لحياة المجتمع أو نقد لبعض عاداته ؛ وتستطيع أن تقرأ أية واحدة من هذه الأقاصيص التى تتألف منها هذه المجموعة ، فإنك واجد فيها غرضاً اجتماعياً بارزاً ، فهذه أقصوصة « لقيط » يصوّر فيها سرياً متزوجا خفية من أهله بفتاة يونانية أنجبت له غلاماً ، ولكنها عندما كانت بالمستشفى تضع ابنها ، عرفت أنه تزوج بفتاة مصرية ، وانقطع من زوجته الأولى ، فاضطرت إلى العودة إلى أهلها ، بعد أن أودعت ابنها أحد ملاجىء أبناء السبيل .

وكذلك نجد مثل هذه الأغراض فى أقاصيص « بكارة » و « غاية المرأة » و « الغريق » و « يتيم » وفى أكثر هذه الأغراض نجده .

والأستاذ الزحلاوى فى أكثر هذه الأغراض التى يتوخاها ، ينحى ناحية إنسانية فى عاطفة سليمة وإحساس مستقيم .

ويجب أن نخص بالإشارة أقصوصة « ذكريات » التى وصف فيها بعض أبطال الثورة السورية الأولى ، وقد اجتمعوا بالقاهرة ، وأخذوا يستعيدون ذكريات بطولتهم الماضية ، وما تعرضوا له من أخطار .

ولا يقف أدب الأستاذ حبيب الزحلاوى عند التأليف القصصى ، فإنه نقادة أدبى ، ولعل النقد الأدبى كان أول ما عالجه من فنون الأدب ، إذ تقدم كتابه « أدباء معاصرون » غيره من الكتب . وقد ظهر ميله إلى النقد فى أقصوصة « الدميم » لأنه عرض فيها للحبكة ، والعرض ، والفكرة ، والوحدة ؛ وذكر أنه « ليست قيمة القصة فى المادة التى تتألف منها ، ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها فى الكيفية التى تؤدى بها وفى عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، وفى صدق الرواية عن الحياة . . . »

وقد اضطر لبيان ذلك ، إلى حشر أقصوصتين فى أقصوصة واحدة ، وهما لا رابط بينهما غير فكرة العرض بمهارة وبغيرة مهارة .. وهى حبكة واهية ضيقة تخرج بالأقصوصة عن جوها الضيق المحدود ، ناهيك عن أنها وسيلة مفتعلة لبيان فضل الأقصوصة الثانية عن الأولى .

تناول الأستاذ حبيب الزحلاوى النقد الأدبى فى شىء من الجرأة وكثير من العنف ، مما جعل له خصومات أدبية قديمة وحديثة كانت إحداها مع أديب له مقامه المرموق فى عالم البحث والأدب والشعر ، والتجديد الذى يحاوله هذا الأديب الفاضل لا يروق الأستاذ الزحلاوى ، وهو حر فى رأيه . وكنت أعتقد أن هذه الخصومة تقف عند حد النقد الأدبى ولا تتعداه إلى التعريض فى إحدى القصص بذلك الأديب . والحق أنى كنت

(١) يقع فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط ويطلب من « دار التوزيع والنشر » بالقاهرة بشارع إبراهيم باشا رقم ٥٣ والثمن ١٨ قرشاً .

أجل صديق الأستاذ الزحلاوى من أن يستعمل مثل هذه الوسيلة لينال من أديب نابه لا يرضى هو عن أدبه . . .

ولعلنى بعدت بهذا الاستطراد عن نجو الأقاصيص التى ضمها كتاب « أنات غريب » وهو جو خليق بأن يتدبره القارىء

وإذا كان من الخطأ الشائع أن القصص تطالع لتزجية الوقت فإن أقاصيص « أنات غريب » قديرة على أن تساهم فى تبديد هذا الخطأ ، لأنها تجمع بين المتعة والفائدة ، وتثير مسائل اجتماعية جديرة بأن يتناولها الناس بالتفكير والتدبير . وقيمة الكتاب من الناحيتين الأدبية والاجتماعية ، حرية بأن تلفت إليها أنظار القراء ، وتغنيه بالثناء والاطراء ...

(الأسكندرية) صبرى شيبوب

على الأثـــير

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

« كان يقال : كلام ذاهب فى الهواء ليقال أنه كلام لا يبلغ الآذان وأنه من باب أولى لا يسلك سبيله إلى الهواء فى زماننا هذا أكثر وأيسر من كل كلام يتلقاه الناس على صفحة القرطاس » ...

عباس محمود العقاد

على الأثير :

أحاديث مختلفة نضدها العقاد فى كتاب واحد وهى تختلف فى الألوان ولكنها تتحد فى عمق الفكرة وصدق المنطق وفى أنها كلمات ألقيت عبر الأثير لتنساب إلى الآذان وتبلغ الناس رسالة فكرية وتحل مشكلاتهم فى أيسر سبيل .

تقلب صفحات الكتاب فتلمس علاجاً لمشاكل الثقافة والاجتماع والتاريخ والوجود والنفس ، وتلمح بعض المناسبات التى يتحدث فيها المسلمون بعضهم إلى بعض حديثاً تدعو إليه صلات الرحم وهذا الود الكريم الذى يؤلف بين القلوب ويوحد بين النفوس ويجعل الحياة إخاء ومودة ورحمة .

أرأيت إلى حديثه عن قادة ثلاثة من قادات الشرق وأعنى بهم الحكيم جمال الدين الأفغانى والشيخ الإمام محمد عبده والزعيم الخالد سعد زغلول ؟ ولو قدر لك الاستماع إلى هذا الحديث أو قراءته خلال صفحات الكتاب لوجدت أن النقاد تسأل عن مكانة الأستاذ الإمام بين زميليه العظيمين اللذين يذكران معه كلما ذكر . والرأى عند العقاد أن القيمة الحقيقية لكل منهم تختلف فى التحديد فقد كان محمد عبده مصلحاً دينياً وجمال الدين داعياً عظيماً ، وسعد زغلول زعيماً خالداً ، فهم إذن يتفقون فى بعض خصال وبعض مشارب ، ويختلفون فى أساس الاستعداد .

وأنت ملاق فى كتابه نوعاً جديداً من فلسفة الوجود ، صيغت فى مقال سائغ مشرق الديباجة رصين الأسلوب وهذا فى مقال له دعاه (طفولة الإنسانية) ، يقول فيه : « ما دام الإنسان يريد الخير فهو ينشده ويبذل فيه ثمنه وإن غلا ؛ وهو إذن رجل الروح والأخلاق . وما دام الإنسان يراد على الخير فهو لا ينشده إلا إذا عرف الجزاء عليه وهو إذن طفل الروح والأخلاق وإن جاوز السبعين والثمانين) ...

ولا شك أن هذه فكرة بنى عليها الوجود . وحل سائغ لهذا البناء .

ولننتقل الآن إلى النفس ، وهل هناك أقدر من العقاد على الكتابة عن النفس .

إنه يقول عن الأزمات النفسية التى تعصف بنفوس الأفراد ، وتطيح بهناء المجموع ، وتزلزل كيان الدول : « الأزمات النفسية سببها الحيرة وصعوبة الاتجاه فى طريق دون طريق وعلاجها هو اليقين والإيمان » ...

وهو جد حريص ، يحتاط لما قد يقال ، بل يسرف فى الإحاطة فيزعم نفسه ناقداً ويتخيل ما قد يلقى من أسئلة وما قد يثار من نقد .. فهو يقول إن هذا الحل ليس من اليسر بمكان بل إن فيه صعوبة شديدة ، فلن تستطيع أمة أن تعتنق الإيمان وتثير فى نفسها الطمأنينة وتمضى إلى حيث الأمن والدعة .. بل إن هذا يحتاج إلى أجيال متعاقبة توحى إلى نفسها الثقة والاستقرار .. ولكنى أقترح على أستاذنا الجليل أن يقدم كتاباً تدبجه يراعته يبحث فى هذه المشكلة ، وإن كتاباً كهذا ، لا يحتاج إليه الشرق وحده ، بل العالم بأسره .

ولننتقل الآن إلى غصن رطيب آخر مما تحفل به الدوحة ذات الأرج العطر والعبير الفواح ..

إنه لحديث عن الاجتماع ، أو الإصلاح الاجتماعي بالتحديد ! والإصلاح الاجتماعي في هـذا البلد كلمات ذات جرس موسيقي ولـكنها كلمات فقط ، لا تذهب عن هذا في كثير أو قليل .

وما دمنا بصدد الـكلمات ، فلنلمس رأي النقاد فيما يقول ، فنجد خلاصة حديثه ينتهي بنا إلى نتيجتين لا تضيع في تحصيلهما الدقائق المعدودات ، أولى النتيجتين أن الناس يستسهلون الإصلاح بالمنع والتحريم ولا يفكرون كثيراً في الإصلاح بالعمل والإنشاء ، أما النتيجة الثانية فهي أدعى إلى التسلية والراحة لأنها تخفف عنا شيئاً من أعباء الحياة ، وينتهي من هـذا أن مذاهب الإصلاح كورقة اليانصيب الخيري ، إن أصابت فهي ثروة وإن أخطأت فهي إحسان .

وكلامه هذا يعيد إلينا صورة من حياتنا النيابية ، ومن تلك المشـاريع الضخام التي تروح في سبات عميق بين اللفات والقرارات . ومن تلك الخطب المسماة خطاب العرش التي تقـول وتقول وتقول .. حتى إذا قذف السهم بالوزارة وأطاح بالـكرسي المقدس ورحنا نلتمس مخلفات العهد فلا نجد إلا الأقوال والأقوال والأقوال ...

وهـذا غصن آخر ، فيه فـكرة وفيه منطق وفيه نفثات من هذا العقل الـكبير .

تراه يحدثك عن معنى الثقافة ، فيدير اللفظ رأسك ويتخذ له مئات من المدلولات وعشرات من الإشعاعات والظلال والأضواء

وهل كانت للثقافة معان توضحها .. وهل كانت للثقافة ثقافة أخرى تشرحها .

إن العقاد يبتسم .. وأظنه يعرف أن النقاد سيقولون هذا القول ويأخذون عليه هذا المأخذ .. وإنه لقائل في معنى الثقافة إنهـا تنقسم إلى ثلاثة عناوين . مطالب الحس ومطالب الحركة ومطالب التفـكير .

وينتهي من حديثه ، بخلاصة توضحها ، كما تعودنا أن نجد في هذه الأحاديث : فنجده يقول :

« وصفوة القول أن الثقافة هي استحياء عناصر الحياة جميعها ولـكننا نستحييها بالمجهود الذي يلائمها فلا نزيد في بذله عن القصد النافع والقدر الصالح ولا ننسى الفوارق بين الملـكات في تقدير هذا المجهود .. »

هذه صورة سريعة من هذا السفر الحافل ، قد تعطيك فـكرة عن الـكتاب ، ولـكنها لا تعطيك كل ما تريد أن تعرفه فما في مقال كهذا يمكنني أن أعطيك ما تشاء من فـكر وصور وآراء

صبحي شفيق

مجلة القصص الرفيع والأسلوب العالي والمظهر الأنيق

تصدر عن دار الرسالة في شكل جديد

كان من ضرورات الحرب
أن أدمجنا « الرواية » في أختها
« الرسالة » . واليوم تنفصل
الشقيقتان فتعود كل منهما
في طريقها المرســـوم

قريباً سنبشرك بموعد صدورها ـ
فارتقب مبعث الجمـــال والفن يوم ظهورها